الاتجاه السياسي في أدب العهود في العصر العباسي الأول

Political Trend in Epochs Literature In the First Abbasid Era

د. معتصم إبراهيم مصلح العبيدي
مدرس
المديريـة العامـة لتربيـة صـلاح الـدين - قسم تربية سامراء

Dr. Mutasim Ibrahim Musleh Al-Obaidi
Teacher
General Directorate of Salah El-Din Education - Samarra Education Department

moatasem.i@uosamarra.edu.iq

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٢/٦/٢١	٢٠٢٢/٦/٣٠

الكلمات المفتاحية: النثر، العصر العباسي، العهود، النشأة والتطور، الاتجاه السياسي .

Keywords: prose, Abbasid era, eras, emergence and development, political trend.

الملخص

يشكل النثر عند العرب عنصراً مهماً إلى جانب الشعر، فهو وسيلة تخاطبية وتواصلية في كلامهم وأدبهم، وفي العصر العباسي وانفتاح الدولة العربية الإسلامية على الأمم الأخرى بفعل الفتوح ودخول الأجناس الأخرى في الإسلام، تنوعت أساليب النثر واجناس الكتابة الديوانية، ومنها أدب العهود الذي استجد في هذا العصر، وأصبحت له أهدافه وغاياته ولحظاته التي يُكتب من أجلها، فهناك عهود الأمان وعهود الولاية وغيرها من أصناف العهود التي فرضتها طبيعة الحياة الجديدة في العصر العباسي، وقد كتبت هذه العهود بأسلوب فني وأدبي، اعتماداً على الزخارف اللفظية والمعاني الموحية، فهو من ضمن الوثائق الرسمية داخل الدولة العباسية، بخلاف الرسائل الاخوانية وغيرها من الرسائل النثرية التي عرفت في هذه الحقبة .

Abstract

For Arabs, prose is an important element besides poetry, as it is a communicative and communicative medium in their speech and literature. The era, and it has its goals, objectives and moments for which it is written, for there are safety vows, state covenants and other types of covenants imposed by the new nature of life in the Abbasid era, and these covenants were written in an artistic and literary style, depending on verbal decorations and suggestive meanings, as it is among the official documents Inside the Abbasid state, unlike the Brotherhood's letters and other prose messages that were known during this era.

مدخل:

العهود لغة واصطلاحاً :

لقد ازدهرت الكتابة ذات الصفة الرسمية في العصر العباسي، ونالت من العناية ما نالته اصناف الكتابة الأخرى، وهذه الكتابة ذات الصفة الرسمية عرفت (بالكتابة الديوانية)، أي: تلك الكتابة التي تحمل صفة رسمية وتكون ناطقة ومعبرة عن توجهات السلطة وما تريد السير به، فقد ازدهرت ((الكتابة الديوانية في عهد بني العباس ازدهاراً كبيراً وبلغت حداً عالياً من الجودة ومستوى رفيعاً من البلاغة، ومما ساعد على رقيها وازدهارها أنها كانت تحظى بالاحترام والتقدير لدى عامة الناس وخاصتهم))[١].

هذا الاحترام والتقدير هو الذي دفع بالأدباء إلى العمل في هذا المجال، وجعل حالهم وعلمهم وأدبهم تحت تصرف السلطة، وتسخير كل إمكاناتهم المعرفية في سبيل النهوض وجعل الكتابة الديوانية الرسمية، صورة معبرة عن رقي المجتمع وعلو كعب العباسيين وصورة من صور ازدهارهم الفكري والحضاري، وعليه تحقق الكتابة الديوانية تناسباً بين الفكر والثقافة من جهة، وتوجهات السلطة وأهدافها من جهة أخرى، ففيها يقول سهل بن هارون: ((الكتابة أول زينة الدنيا التي إليها يتناهى الفضل وعندها تقف الرغبة))[٢].

ومن ضمن أجناس أو أنواع الكتابة الديوانية يبرز لنا أدب العهود الذي شكل نقطة فارقة في أهمية تلك الكتابات؛ لما للعهود من دورٍ كبيرٍ في رسم حدود الدولة العباسية وتعزيز أركانها وتوسيع رقعتها، ووضع اللبنة الأساسية لطريقة الحكم وتداول السلطة فيها .

والمعنى اللغوي لكلمة العهود يدلل على ذلك الدور الذي يؤديه هذا الأدب في الحياة السياسية، إذ العهد لغة ((التقدم إلى المرء في الشيء والعهد: الذي يكتب للولاة، وهو مشتق منه، والجمع عهود، وقد عهد إليه عهداً، والعهد: الموثق واليمين يحلف بها الرجل، والجمع كالجمع، تقول: عليَّ عهد الله وميثاقه، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه؛ وتقول: علي عهد الله لأفعلن كذا؛ ومنه قول الله تعالى: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم وقيل: ولي العهد؛ لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ على من بايع الخليفة، والعهد أيضاً: الوفاء))[٣].

---

(١) فنون النثر في العصر العباسي، محمود عبد الرحيم صالح، ٨١.

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ٢٣٢/٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (عهد).

ومن خلال المعنى اللغوي للعهود يظهر التعريف الاصطلاحي الذي يحقق الغاية التي من اجلها وجد هذا الجنس النثري، وعليه فالعهد هو ((وثيقة رسمية تعطى لتسلم منصب كبير في الدولة أو لمزاولة عمل مهم فيها وهو اشبه ما يكون بدستور مصغر أو منهج مرسوم يستلهمه الموكل بأحد الاعمال في تسيير عمله))[١].

فالأمر متعلق بتوكيل الأمر إلى أحد الاشخاص ووفاء ذلك الشخص به، فالمعنى الذي ينفرد به العهد هو معنى إسلامي بحت، يشتغل على الجوانب الاخلاقية وتعزيز الثقة والمصداقية بين الناس، وفي الوقت نفسه يمثل العهد مكانة عالية وقيمة في الدين الإسلامي، فقد جاء في قوله تعالى:(وأوفوا بالعهدِ إنَّ العهدَ كانَ مسؤولا) (الاسراء: ٣٤)، وعناية الخلافة العباسية بالعهود نابعة من مكانتها في الإسلام ووجوب الوفاء بها في كل تفاصيل الحياة، فالعهد وثيقة أخلاقية قبل أن يكون وثيقة سياسية أو رسمية، أساسها الالتزام الأخلاقي، ولهذا أصبح أدباً مستقلاً يوكّل به مجموعة من الكتاب والأدباء الذين برعوا فيه وجعلوه جنساً أدبياً مستقلاً له سماته وخصائصه التي تفرده عن الاجناس النثرية الأخرى، والعهود كانت تصاغ بأساليب بلاغية رفعتها إلى مستوى الأدب وقدمتها بوصفها جنساً نثرياً مهماً وأساسياً في نثر العصر العباسي .

وهذا الاستعمال للبلاغة مرتبط بالدوافع وحجم الاقناع والمعنى الذي يراد ايصاله إلى المخاطب؛ ((ذلك أن الأيديولوجيا تسخر البلاغة أداة حين تضطلع بدور تبريري ملازم لدورها القيادي، وفي هذا الحال لا تعدو البلاغة أن تكون تقنية في يد الأيديولوجيا توظفها في خدمة للمقاصد التأثيرية والاقناعية))[٢]، والعهود كانت وسيلة من وسائل تنظيم إدارة الدولة العباسية وشؤونها المختلفة فقد كان من ((مقتضيات الإدارة أن يكتب عهد لمن يتم اختياره لولاية العهد بالخلافة أو لأداء احدى الوظائف المهمة في الدولة مثل الوزارة وقيادة الجيش وولاية البلدان والقضاء))[٣]، وغير ذلك من العهود التي تصاغ بأسلوبٍ أدبيٍّ رفيع تبقى عالقة بالذهن وتكتب وتحفظ بوصفها جزءاً من الوثائق الرسمية للدولة العباسية، وواجب على من يكتب العهد أن يلتزم به هو والطرف الثاني الذي يشترك معه في تفاصيله .

والعهد معززٌ للثقة بين الدولة والرعية ومنظم لها، ولأهمية العهد ومكانته في العصر العباسي فإن الرشيد حينما كتب ولاية العهد للأمين ثم المأمون بعده لم يكتفِ بذلك، بل خرج عام (١٨٦هـ) حاجاً واصطحب الأمين والمأمون واستحلفهما في بيت الله الحرام على الوفاء

(١) فنون النثر في العصر العباسي، ٩٧.

(٢) البلاغة والايديولوجيا، مصطفى الغرافي، ٦٧.

(٣) فنون النثر في العصر العباسي، ٩٧.

بشروط العهد ثم علق كتاب العهد في الكعبة الشريفة[١]، وهذه الواقعة التاريخية تدلل بصورة كبيرة على أهمية العهود في الإسلام، لدرجة أنها عُلقت على الكعبة حتى يعلمها الناس ويعملوا على اطاعتها واشاعتها في ربوع الجزيرة العربية، ولاسيما أن الكعبة مركز تجتمع به كل العرب ويدخلها كثير من الاجناس الاجنبية كذلك، ولهذا كان العهد معلقاً على الكعبة وثيقةً رسميةً معبرة عن تطلعات الدولة العباسية وإرادتها في ادارة السلطة وترتيب اوراقها في الحاضر والمستقبل.

أدب العهود نشأته وتطوره :

إن أدب العهود لم يكن وليد العصر العباسي وأحد مخرجاته الاخلاقية والثقافية، بل يمكن العودة به إلى النشأة الواضحة المبنية على النصوص التي كتبت ووثقت في عصر صدر الإسلام، وبالتحديد في رسائل ووثائق العهود التي كتبها أو أمر بكتابتها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)، والدليل المكتوب الذي بين أيدينا هو رسائل ووثائق على شكل عهود في مضمونها، استعملت في بداية الدعوة الإسلامية وسيلةً من وسائل الدعوة إلى الدين الإسلامي، ووسيلة من الوسائل التي توضح عظم الإسلام وقيمه الاخلاقية والروحية، فهناك من الرسائل والوثائق التي ضمت العهود في جميع أجزائها دون التعرض لموضوعات أخرى . وهناك من الرسائل والوثائق التي تطرقت إلى العهود من خلال استعمال أساليب الشرط أو تداخل الموضوعات أي بمعنى: أن العهد يأتي مع الموضوعات الأخرى فيكون شرطاً لها أو موضحاً لتفاصيلها، وفي هذا التوضيح يخرج العهد إلى موضوعات أخرى، وفي استعراض مثالين لهذه العهود في عصر صدر الإسلام يتضح الفرق بين الفكرتين لكن الغاية تبقى واحدة وهي كتابة العهد، ومن تلك العهود أنه ((لما قرَّ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وأدع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم واشترط لهم))[٢].

وسنلحظ كيف أن الشرط في طاعة الله (سبحانه تعالى) هو الذي يُحدد طبيعة ونوع العهد، فقد جاء في نهاية هذا الكتاب ((**وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأَبَرّه وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلاّ من ظلم أو أثم، وأن الله جارٌ لمن بَرَّ واتقى ومحمد رسول الله**))[٣]، فهذا الكتاب إلى جانب تنظيمه

(١) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ٣٦٤/٣.

(٢) جمهرة رسائل العرب -العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام-، أحمد زكي صفوت، ٣١/١.

(٣) سيرة ابن هشام، ٣٠١/١.

لأمور الحياة بين المهاجرين والانصار واليهود، تضمن خلاصة متعلقة بعهد الأمان والراحة والطمأنينة لمن تقيد بما كتب فيه، ومن خرج عن الطاعة والالتزام بما جاء في هذا الكتاب فقد ظلم نفسه، فالشرط والاستثناء والتحذير من المخالفة كان قيداً لتحقق العهد ونفاذه في التطبيق على أرض الواقع، وهذا ما يتعلق بتنظيم شؤون الدولة الإسلامية في بداية تشكيلها.

واستعمل العهد كذلك في بعثة النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، في مراسلاته مع ملوك الأمم الأخرى ودعوتهم إلى الإسلام، واعطائهم العهد بالأمان على أموالهم وممالكهم وأنفسهم في مقابل الدخول في الدين الإسلامي، والإيمان بالرسالة السماوية التي نزلت على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ففي كتاب من الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة جاء فيه ((**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك**))[1].

وفي هذا الكتاب عهد بالأمان على النفس والمال في مقابل الإيمان برسالة الإسلام، وعبارة (أسلم تسلم) هي عبارة استعملت في المخاطبات التي كانت تدعو إلى الإسلام، فنشأة العهود بوصفها كتباً مستقلة يخاطب بها البعيد والقريب، كان في عصر صدر الإسلام، ومن يرجعها إلى عصر ما قبل الإسلام، يكون قد بالغ في الطرح؛ لأن التعامل يجب أن يكون مع النص المكتوب الذي بين ايدينا، وليس مع الروايات التاريخية التي ربما يتخللها بعض من الاخطاء والنحل، من جهة اثبات النشأة بوصفه جنساً أدبياً على الاقل.

ومع انتشار الإسلام وبدء الفتوحات الإسلامية واتساعها في العصر الأموي، أصبح للعهود تقاليد تتبع في اثناء تقديم عهود الولاية وتقليد المناصب في الدولة، إذ يراعى في العهد أمور عامة ومنها ((الاستهلال في ذكر الرتبة أو الحال وقدر النعمة ولقب صاحب التقليد واسمه))[2].

فالعهد في هذا العصر أصبح على مراحل فقد ((يحسن أن يكون الكلام منقسماً في التقليد على أربعة اقسام متقاربة المقادير، فالربع الأول: الخطبة أي مقدمة الرسالة، والربع الثاني: ذكر موقع الانعام في حق المقلد وذكر الرتبة وتفخيم أمرها، والربع الثالث: في

(١) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، أبو العباس القلقشندي، ٦/ ٣٧٩.

(٢) تطور الأساليب النثرية، أنيس المقدسي، ٢١٨.

أوصاف المقلد وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعد صيت وسمعة وشجاعة، والربع الرابع: في الوصايا والعهود))[١].

فقد حدث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه قال: ((كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز فكتبت إليه أن رجلاً كان يهودياً فأسلم ثم تهوَّد ورجع عن الإسلام))[٢]، وقد جاء ردّ الخليفة عمر بن عبد العزيز على هذا الكتاب بصورة واضحة وحاسمة إذ قال:((**أدعه إلى الإسلام فإن أسلم فخل سبيله وإن أبى فادعُ بالخشبة فأضجعه عليها، ثم أدعه، فإن أبى فأوثقه وضَع الحرْبة على قلبه، ثم أدعه فإن رجع فخلِّ سبيله وإن أبى فاقتله**))[٣]، يظهر أن الخليفة اعتمد على العهد في جعل الخيار لهذا الشخص، فإن رجع إلى الإسلام فيعطى عهد الأمان ويعامل كحال المسلمين، وإن أبى فالسيف هو الفيصل في الحكم.

ونلحظ في عصر صدر الإسلام والعصر الاموي ظهور عهود الامان بكثرة وتفوقها في العدد والاستعمال على العهود الأخرى؛ وذلك لأن العصر يقتضي ذلك الاستعمال بحكم أنها عصور فتوحاتٍ وعصور نشرٍ للدين الإسلامي في انحاءٍ ورقعٍ جغرافيةٍ كبيرة .

الاتجاه السياسي في أدب العهود في العصر العباسي الأول :

إن ما حصل في العصر العباسي من انفتاح ثقافي، وحصول هذا التنوع في أساليب الكتابة، واتجاه الكتابة الديوانية بالتحديد إلى التنوع والاختلاف بحسب طبيعة الحياة العباسية، وبحسب من تقلد أمور الكتابة وأمور العهود وغيرها، أصبح العمل منظماً ورسمياً أكثر من العصر الأموي، وهذه الاستقلالية والتقدم في أساليب الكتابة في العصر العباسي، كانت نتيجة طبيعية لحجم التداخل بين الاجناس التي دخلت إلى المجتمع العربي، بحكم اتساع الفتوحات على أراضي شاسعة ودخول اجناس وثقافات متعددة في الدين الإسلامي.

والكتابة الديوانية في العصر العباسي لم تكن واجباً مفروضاً على الكتاب، بقدر ما كان رغبة من كتاب شغفوا بهذا النوع من الكتابة ((فقد كانوا يتخيرون للإنشاء الديواني بلغاء الكتاب لما يترتب عليه من التبعات الجسيمة وكان لأولئك الكتاب منه رزق واسع وجاه عريض فأقبلوا عليه وتغالوا في الافتتان به))[٤]، وممارسة الكتابة في دواوين الدولة العباسية لم

---

(١) تطور الأساليب النثرية، أنيس المقدسي، نقلاً عن: كتاب حسن التوسل في صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي، ٢١٨-٢١٩.

(٢) جمهرة رسائل العرب -العصر الاموي-، ٢٩٩/٢.

(٣) كتاب الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الانصاري الكوفي،٢١٧.

(٤) تطور الأساليب النثرية، ٢٢٢.

تكن إلاّ من رغبة الكتاب في الاهتمام بهذا الجنس الأدبي، والاحساس بخطورته وحظوته عند الخلفاء العباسيين وأمرائهم وقادتهم ووزرائهم، لكن في الوقت نفسه لم يغفل أولئك الكتاب عن الاطلاع بكثافة على الكتابات الديوانية عند غير العرب، والإفادة منها في تعزيز الكتابات الرسمية للدولة العباسية، وكذلك أفادوا من حركات الترجمة التي نشطت في بداية هذا العصر، إذ نقلت كثيراً من المصنفات الفلسفية والمنطقية.

وبرز الكثير من كتاب العهود المسلمين من غير العرب الذي جمعتهم أخوة الإسلام وجعلتهم يتقلدون مناصباً رفيعةً في دواوين الكتابة في هذا العصر، وبرغبة من الخلفاء لجعل العمل أكثر تنوعاً وتناسقاً وترتيباً، والاهتمام بالكتابة الديوانية وبأدب العهود بخاصة، نابع من اهتمام الخلافة العباسية بها والميل إليها في تسيير شؤون الدولة العربية الإسلامية في تلك الحقبة .

إن أهمية أدب العهود في الحياة العباسية تنطلق من جانبين مهمين من تلك الحياة، الأول: جانب الحياة السلمية وادارة أمور الدولة، والثاني: جانب الحياة غير المستقرة المتمثلة بالفتن وحالات الحروب والفتوحات، وغير ذلك من الأمور المضطربة التي من خلالها تلجأ الدولة إلى استعمال أدب العهود والإكثار منه، ومن خلال هذه الأهمية في السكون والتحرك والاضطراب انطلق أبرز كتاب العصر العباسي واكثرهم اجادة لفنون وأساليب الكتابة الديوانية إلى تبنيّ هذا الفن النثري الرسمي والتخصص به إلى جانب الفنون النثرية الأخرى.

ومن النماذج التي تدلل على أهمية وأثر أدب العهود في توطيد أسس الدولة العباسية وتوسيع نطاقها، فقد ورد أن المنصور حاصر ابن هبيرة ((شهوراً ثم جرت الشُّفراء بينهما بالصلح حتى جعل له أبو جعفر أماناً وكتب له به كتاباً مكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه وأنفذه إلى أبي جعفر فأنفذه أبو جعفر إلى أبي العباس فأمر بإمضائه))[1]، وفي هذه الرسالة التي تعدّ رسمية ومن ضمن شؤون الدولة العباسية عهد أمان وصفح عن ابن هبيرة من قبل السلطة العباسية متمثلة برأس الهرم فيها وهو الخليفة المنصور. وعند استعراض جزء من هذا العهد ولا سيما في قوله: **((إني أمنتكم بأمان الله الذي لا إله إلاّ هو الذي يعلم سرائر العباد ويعلم ما تخفي الصدور وإليه الأمر كله، أماناً صادقاً لا يشوبه غشٌّ ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم، واعطيت يزيد بن عمر هبيرة ومن أمنته في أعلى كتابي هذا، الوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي واثق به الأمم الماضية من خلقه وأخذ عليهم به أمره عهداً خالصاً وذمة الله وذمة محمد...))**[2].

(١) تاريخ الامم والملوك، ابن جرير الطبري، ١٤٤/٩.

(٢) الامامة والسياسة، ابن قتيبة، ١٠٥/٢.

يتضح لنا كيف ينفذ الخليفة إلى نفس الخصم ويعطيه الأمان على نفسه وعلى أهله وعلى ماله، في مقابل الطاعة وعدم التمرد على السلطة وتأليب الناس معه على الاضطراب، فسياسة العهود كانت مهمة لنشر وتوسيع رقعة الدعوة العباسية واستمالة الخصوم، وهذا جزء من الحنكة السياسية التي مارسها العباسيون في تحييد منتقديهم واعدائهم.

وتتضح هذه الرؤية عند العباسيين وتبرز اهميتها أكثر حينما نأتي على مواقف وأحداث أخرى توضح أهمية هذا الأدب عند السلطة العباسية، فلما ((**ولي أبو جعفر الخلافة وكان عمه عبد الله بن علي بالشام وكان السفاح قد وجهه لقتال مروان بن محمد الأموي فطمع عبد الله في الخلافة وخطب بالناس فقال: إن السفاح ندب بني العباس لقتال مروان فلم ينتدب غيري، وقد قال لي إن ظهرت عليه، وكانت الغلبة لك، فأنت وليُّ العهد بعهدي، وشهد له جماعة بذلك فبايعه الناس**))[١].

فحين سمع المنصور بهذا الحدث بعث الخراساني لقتاله، فهزمه الخراساني وحاصره، وذهب عبد الله بن علي إلى البصرة ((ونزل على أخويه سليمان وعيسى ابني علي فشفعا فيه إلى المنصور وطلبا له الأمان فقبل شفاعتهما واتفقوا أن يكتبوا له اماناً منه وكان عبد الله بن المقفع كاتباً لعيسى بن علي فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه))[٢]، والواضح أن أسلوب توطيد الدولة العباسية كان في اتجاهين، الأول: استعمال القدرات العسكرية والحربية في منازلة الخصوم واخضاعهم وتفتيت قواهم وجمعهم، والثاني: تسخير هذا التقدم العسكري والسيطرة الميدانية في صياغة العهود التي توضع فيها شروط المنتصر لا الخاسر.

وهذا ما جاء في العهد الذي كتبه ابن المقفع على لسان المنصور والذي جاء فيه ((**ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ودوابه حُبُس وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته**))[٣].

فكانت العهود وسيلة من وسائل القضاء على الخصوم، لكن النقاش يكون في الطريقة التي يتم بها ذلك، وليس في النتيجة التي ستكون في النهاية؛ لأن النهاية شبه محسومة ومعروفة وهي انتهاء الشخص الثائر إلى الزوال قتلاً أو حبساً، ((فلما بلغ أبا جعفر المنصور خروج النفس الزكية بالمدينة وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ٢/ ٢٣٤.

(٢) وفيات الاعيان، ابن خلكان، ١/١٥٠.

(٣) أمالي السيد المرتضى، ١/٩٤.

بن أبي طالب عليه السلام))[١]، كتب إليه المنصور يعاهده على العفو والصفح عنه بشرط الرجوع عن دعوته هذه وجاء في ذلك العهد بعد الافتتاح ببعض آيات القرآن الكريم ((**عليَّ عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم إن تبت ورجعت من قبل أن اقدر عليك أن أومنك وجميع ولدك واخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم وأسوَّغك ما اصبت من دم أو مال واعطيك الف الف درهم وما سألت من الحوائج وانزلك من البلاد حيث شئت وأن اطلق من في حبسي من أهل بيتك وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل معك في شيء من امرك ...**))[٢].

لكن عدم الاستجابة من النفس الزكية لهذا العهد وطلب المواجهة العسكرية هي التي اسرعت في القضاء على ثورته على الخلافة العباسية، وسقوطه شهيداً في أرض المعركة اثناء احتدام المعركة بين جيش العباسيين وجيشه، وهذا النمط من أسلوب العهود مرتبط بالاتجاه الدعوي الذي كان العباسيون يتحركون من خلاله ويسيرون فيه، بوصفه أحد أدواتهم في الحفاظ على ملكهم وضمان استمراره اطول مرحلة ممكنة، أي: إن الخلفاء يستعملون العهود في الحروب والاضطرابات الداخلية، وسيلةً سياسيةً يراد منها فرض مصالح وخيارات لكن بأسلوب يكون مقنعاً ومغرياً للمتلقي أو المخاطب.

ومن نماذج هذا الاغراء والترغيب عهد الرشيد لهرثمة بن أعين وقد ولاه خراسان جاء في بعضه ((**هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين، حين ولاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه: أمره بتقوى الله وطاعته، ورعاية أمر الله ومراقبته...وأمره أن يستوثق من الفاسق علي بن عيسى وولده وعماله وكتابه، وأن يشد عليهم وطأته، ويحل بهم سطوته، ويستخرج منهم كل مال يصحُّ عليهم، من خراج أمير المؤمنين، وفيء المسلمين... فأعمل يا أبا حاتم بما عهدت إليك، فإني آثرت الله وديني على هواي وإرادتي، فكذلك فليكن عملك، وعليه فليكن أمرك... هذا عهدي وكتابي بخطي، وأنا أُشهد الله وملائكته وحملة عرشه وسكان سماواته، وكفى بالله شهيداً**))[٣].

ومن نماذج الترغيب والترهيب كذلك ((كتاب المأمون إلى علي بن عيسى بن هامان، إذ كان علي بن عيسى بن هامان ممن مال على خلع المأمون من البيعة فكتب إليه المأمون لما بلغه ما عزم عليه))[٤]، وهذا الكتاب كان ترغيبياً في اطاعة أمر الخليفة وعدم الخروج

(١) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، القلقشندي، ٢٣١/١.

(٢) الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد، ٢٩٣/٢.

(٣) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ٢٨٦/٣-٢٨٧.

(٤) جمهرة رسائل العرب، ٣٠٢/٣.

والانفراد برأيه والتأثير على المؤيدين لبيعة الخليفة المأمون وجاء في بعضه **((ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وليس الساعي في نشرها بساعٍ فيها على نفسه دون السعي على حملتها القائمين بحرمتها وقد عرَّضوهم أن يكونوا جزراً لأعدائهم وطعمة قوم تتظفَّر مخالبهم في دمائهم، ومكانك المكان الذي إن قلت رُجع إلى قولك وإن اشرت لم تتهم في نصيحتك ولك مع ايثار الحق الحظوة عند أهل الحق ولا سواءٌ من حظي بعاجل مع فراق الحق فأويق نفسه في عاقبته ومن أعان الحق فأدرك صلاح العاقبة مع وفور الحظ في عاجلته))**[١].

فالحق متمثل بالخليفة المأمون، الذي استعمل في عهده هذا اساليب الترغيب والترهيب، لكن الاسبقية كانت للترغيب للمخاطب بأن أنت صاحب مكانة عالية في المكان الذي أنت فيه، وصاحب كلام مسموع في المكان الذي أنت فيه، وفي هذا رفع لمكان المخاطب حتى يأتي إلى الطاعة كما كان، ولا يرغب في إثارة القلاقل والاضطرابات.

وفي الوقت نفسه لم يغفل الخليفة عن تضمين هذا العهد الشروط التي تكفل للسلطة العليا المتمثلة بالخليفة المأمون، الاحتفاظ بمكانتها وسلطتها ومركزيتُها، فحذر المخاطب وهو علي بن عيسى بن هامان، من الانحراف عن الطريق الصحيح وعدم البقاء على مبايعة ولاة الأمر الشرعيين، وهو الخليفة المأمون وفي حال انحرف عن جادة الصواب في المبايعة واختار الرجوع عنها، سيكون الهلاك مصيره وهذه بالتحديد الجزئية التي انطلق منها أسلوب الترهيب في هذا العهد .

فتتضح أهمية هذا الأدب من خلال الكثرة في الاستعمال والتنوع في الاساليب التي تكون مادة العهد ومقومات أركانه، وأحياناً تكون هذه العهود مقتضبة، وتحتوي على فكرة مختصرة ومحددة، كما جاء في كتاب الأمين إلى القائد طاهر بن الحسين حينما حدثت ((حروب ووقائع وشغب كثير حتى سار طاهر ومعه هرثمة بن أعين إلى بغداد وحاصراها وقد نزل طاهر بالجانب الغربي وهرثمة بالجانب الشرقي وكتب الأمين إلى طاهر بخطه))[٢]، ففي هذا العهد القصير البنية والمتسع المقاصد والأهداف لم يكن إلا وليد اللحظة التي كتب فيها فجاء فيه **((بسم الله الرحمن الرحيم: أعلم أنه من قام لنا مذ قمنا قائمٌ بحقَّنا وكان جزاؤه إلا السيف فانظر لنفسك أو دع))**[٣]، ورب قائل يضع هذا العهد في سياق رسائل

(١) تاريخ الامم والملوك، ١٠/١٤٣.

(٢) جمهرة رسائل العرب، ٣/٣٠٧.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢/٣٠٣.

التهديد، لكن من ينظر في مقاصد وأهداف هذا العهد يرى المزج بين التهديد والوعيد، واعطاء العهد بالأمان والسلامة في حال الكف عما يريده الأمين، هذا بغض النظر عن استطاعة واستمكان الأمين من عهده أم لا، لكن بالصورة العامة هذه عبارة عن عهود تكون مكتوبة في لحظة حرجة، ووقت ضيق، إلى درجة عدم تضمينه أي أساليبٍ أخرى إلى جانب الترهيب واعطاء العهد بعد الطاعة.

وما يعزز فكرة أهمية أدب العهود في العصر العباسي كذلك، أن خيرة كتاب هذا العصر وأصحاب القلم الأدبي فيه، قد امتهنوا هذه المهنة وأحبوها وكانوا قريبين من الخلافة العباسية، ولسانها الناطق من خلال أدب العهود المتعدد الموضوعات والاغراض، وفي استعراض لأهم كُتاب هذا العصر ودورهم في أدب العهود تتضح تلك الاهمية ومنهم (عبد الحميد الكاتب، ابن المقفع، الجاحظ، ابن العميد)، وغيرهم ممن كان لديهم دور كبير في ازدهار أدب العهود وتوسيع نطاق استعمالها والكتابة فيها .

ثبت المصادر

- أمالي السيد المرتضى، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، (د.ط) ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤.
- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: الاستاذ علي شيري، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠م.
- البلاغة والايديولوجيا،-دراسة في أنواع الخطاب النثري عند ابن قتيبة-، مصطفى الغرافي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- تاريخ الامم والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- تطور الأساليب النثرية، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٨، ١٩٨٩م.
- جمهرة رسائل العرب -العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام-، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط١، (د.ت).
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (د.ط)، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، أبو العباس القلقشندي، دار الكتب المصرية، (د.ط)، ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- فنون النثر في العصر العباسي، محمود عبد الرحيم صالح، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- كتاب الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الانصاري الكوفي (ت١٨٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، ١٩٨٧م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٤، ٢٠٠٥م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية - بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- وفيات الاعيان، ابن خلكان، شمس الدين بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.